مفهوم الحكيم بين لاو تسـو وسينيكـا

د. حماده أحمد على
أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد
كلية الآداب - جامعة جنوب الوادى

مقدمة

يعرضُ هذا البحث لمفهوم الحكيم عند لاو تسو وسينيكا، ويعد لا وتسو أحد الفلاسفة المؤسسين لطريق الطاو، الذى بنيت عليه فلسفة الطاوية، وقد اعتمدنا في البحث على على كتابى لاوتسو وهما كتاب أناشيد الطريق والفضيلة وكتاب فهم الأسرار، أما الكتاب الأول فله أربع ترجمات إلى العربية، أما الترجمة الأولى هى ترجمة الدكتور عبد الغفار مكاوى والتى عرضها فى أخبار الأدب بعنوان 'الطريق والفضيلة'، والترجمة الثانية هى ترجمة علاء الديب بعنوان 'الطريق إلى الفضيلة'، والترجمة الثالثة هى

ترجمة فراح السواح بعنوان 'التاو تى تشينج – إنجيل الحكمة التاوية فى الصين'، والترجمة الرابعة هى الترجمة التى اعتمدنا عليها وهى بعنوان 'أناشيد الطريق والفضيلة' وهى من أفضل الترجمات الأربعة مقارنة بالترجمات الإنجليزية الذى نُقل عنها النص، وهى ترجمة جمعية المكنز الإسلامى بلندن.

وأما كتاب 'فهم الأسرار' اسم تشريف للكتاب، وهو أحد المراجع العظمى فى الطاوية منذ أن دونت قبل ما يربو على ألفى عام، وقد سارت على منوال تراث لاو تسو و تشوانج تسو وهواينان تسو من حيث تناولها النطاق الكامل لكلاسيكيات الفكر الطاوى ومجاهداته، والتى شحبت ذكراها عند الناس فيما عدا مريدى الطريق. ومن الثابت فى التراث الطاوى أن لاو تسو لم يكن فردا منفصلا بل كان عضوا فى جماعة جوانية، ومن المسلم به كذلك أنه كان محاطا بتلاميذ عدة، وكان يعلم كلا منهم مجموعة من تعاليم التراث الطاوى، والكتاب المعروف بعنوان 'فهم الأسرار' هو أحد هذه المجموعات، وهو تفسير لتعاليم الطريق والفضيلة فى سلسلة من الجدليات تعزى إلى المعلم لاو تسو. وتدل البراهين الذاتية بوضوح على أن جذور كتاب 'فهم الأسرار' تمتد من كتاب الطريق والفضيلة و تشوانج تسو و هويانان تسو، فهى تبدأ من تعاليم كل هذه الأعمال القديمة وتفسرها.

وأما كتاب'أناشيد الطريق والفضيلة' هو متن صينى قديم يشتمل على تعاليم روحية وحكمة شعبية وآراء سياسية وشذرات من علم الكون ونظرات فى الطبيعة ودحض لمذهب كونفوشيوس ورؤى أسرارية من الطاوية القديمة. وقد صيغ شعرا على غرار الأدب التراثى الذى سبق عصر لاو تسو، وتناوله حكماء الصين بين القرنين السابع والثانى قبل الميلاد حتى صار سبيكة لحكمة أجيال منهم.

ويروى أن لاو تسو(1) كان يتبع الطريق والفضيلة، أى الحكمة العلية والتعبير السلوكى عنها فى زمان كونفوشيوس فى القرن الخامس قبل الميلاد، وتركزت تعاليمه فى التواضع وإنكار الذات، وكان فى أواخر حياته أمينًا للسجلات الإمبراطورية، وقد استشعر سقوط الإمبراطورية الوشيك، فجمع أغراضه وارتحل مهاجرًا فى عربة يجرها ثور، وعند مروره من بوابة الغرب استوقفه الحارس يين هسى الذى أدرك أن هذا الحكيم الجليل على وشك أن يترك العالم، فقال له 'سيدى، إنك قد زهدت هذا العالم، فأرجو أن تكتب لى كتابا قبل أن ترحل'، ونزل الحكيم العجوز من عربته وأخذ أقلامه وأحباره وجلس يكتب كتابا من جزئين فرغ منه فى ساعات، وأعطى يين هسى الكتاب الذى احتوى على خمسة آلاف كلمة أو يربو قليلا، ثم تابع هجرته إلى الغرب ولم يُعرَف له مصير بعد ذلك ([2]) .

وأما بالنسبة لسينيكا فقد تعددت أعماله التى تتناول مفهوم الحكيم وقد عنيت فى الفترة الأخيرة بترجمة هذه الأعمال وقد صدر منها مجلدين، الأول 'عن الإحسان' والثانى 'محاورات سينيكا عن الشقاء والسعادة' وكان من أهم الموضوعات التى تخللتها هو موضوع الحكيم، ولم نقتصر على هذين العملين فحسب بل حاولنا أن نجوب فيما كتبه للإلمام بمجمل الموضوع. واتبعنا منهجا تاريجيا تحليلا يتناسب مع طبيعة البحث محل الدراسة.

---

[1] يقال أن لاو تسو قد عاش فترة تتراوح بين 165 إلى 250 عاما بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد.

[2] – مقدمة كتاب لاو تسو: اناشيد الطريق والفضيلة، ترجمة تراث واحد، جمعية المكنز الإسلامية، لندن، 2016م، ص5

وحتى نقدم رؤية جامعة للموضوع قسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة عناصر وخاتمة، أما المقدمة عرضنا فيها لكتابى لاوتسو وأهمية الموضوع والمنهج المتبع، والعنصر الأول هو تعريف لمفهوم الحكيم لغة واصطلاحا، ومفهوم الحكيم الرواقى عموما، والعنصر الثانى وهو سمات الحكيم بين المظهر والجوهر لاو تسو وسينيكا، والعنصر الثالث وهو الحكيم والسلطة بين لاو تسو وسينيكا، وأما الخاتمة فعرضنا فيها أهم النتائج.

أولا: الحكيم لغة واصطلاحا

أ. الحكيم فى اللغة:

الحكيم بوجه عام هو من تصدر أعماله وأقواله عن روية ورأى سليم، أطلق قديماً على العالم، ومنه حكماء اليونان السبعة، ومنهم سولون المشرع وطاليس أول الفلاسفة. والحكيم الرواقى هو الذي يرى أن كل شئ فى الطبيعة إنما يقع تبعاً لقدرة وإرادة أزلية، وإذن لا مناص من تقبله والتسليم به، فالحكيم عندهم يخضع حياته لسنن الوجود، ويعد نفسه مجرد ترس فى الآلة الكبرى يسير معها ولا يشذ عنها، وشعاره: العيش وفاقاً للطبية (للعقل)[3].

والحكيم هو صاحب الحكمة، وقد يطلق اللفظ على الفيلسوف، والعالم، والطبيب، وعلى صاحب الحجة القطعية التى تدمغ بالبرهان، وهو الذى يعرف ما يمكن أن يعلم، وما يجب أن يفعل. والحكيم من أسماء الله تعالى، وقد سمى القرآن الكريم بالذكر الحكيم، لأنه الحاكم للناس وعليهم، ولأنه محكم لا اختلاف فيه، ولا اضطراب. والحكيم هو الذى يجمع بين العلم والأخلاق المثالية، إما مطلقاً كالحكيم الرواقى أو الإنسان الكامل، وإما نسبياً كالجذر الذى يأخذ فى أمور بالحزم، فلا ينقاد للشهوات، ولا يغتر بطيب الأمانى، ولا يطمئن إلى ما حصل عليه من مال أو سؤدد. وعلى ذلك فالحكيم هو الذى يجعل سلوكه مطابقاً لأحكام العقل، أو الذى يعد لكل أمر عدته، والحكيم هو المتقن للأمور. وكل من أحكمته التجارب فهو حكيم[4]، ويورد معجم الفلسفة لمراد وهبة تعريفين للحكيم أحدهما: أن الحكيم هو الذى يعلم أن كل شيء فى الطبيعة يقع بالعقل الكلى والإرادة الإلهية أو بالقدر، فيعتبر ميوله وظائف لتحقيق هذه الإرادة الكلية، ويقبل مفاعيل القدر طوعًا، والآخر هو تعريف لافونتين ان الحكيم هو الذى لا يرهب الموت، وهذا هو التعريف الشائع.[5]

ب. فى الاصطلاح:

فرض مفهوم الحكيم نفسه كإشكالية مهمة فى تاريخ الفكر الفلسفى بداية من الفكر الشرقى القديم حتى الفلسفة فى أزمانها الحديثة والمعاصرة، وقد نجده مرتبطًا فى أغلب الأحيان بمفهوم الفلسفة ذاتها، باعتبار الفلسفة فى مفهومها الدارج 'محبة الحكمة'، إلا أن هناك بعض الفلاسفة قد طرحوا تعريفات مختلفة لمفهوم الحكيم، ويقول "كوجيفا" لم يزد حديث هيجل عن الفيلسوف المحب للحكمة عن كلامه عن الحكيم والحكمة وهو يذكر" أن كل الفلاسفة يتفقون على تعريف الحكيم، أضف إلى ذلك أن هذا التعريف يتسم بالبساطة الشديدة، بل ويمكن إيجازه فى جملة واحدة:" الحكيم هو الشخص القادر على الإجابة عن جميع الأسئلة التى يمكن أن تطلب منه فيما يخص أفعاله وسلوكياته بطريقة مفهومة أو مرضية، وتمثل إجابته خطابًا متماسكًا فى مجمله، ولذا " إن الحكيم هو الشخص الذى يعى ذاته ويسيطر عليها كلية". وما المقصود الخطاب المتماسك؟ أو السيطرة الكلية على النفس؟ يجيب هيجل عن كلا الأمرين، بأن الحكيم يجيب على جميع الأسئلة ليس بابتكار أو طرح أفكار جديدة، ولكن بالتذكر وعدم النسيان، لأشكال الخبرات والتجارب الحياتية. وعلمه هذا نتاج لضميره الحى، الذى ينتج خطابًا يحوى أو يشمل جميع الظواهر الحاملة للأسئلة فى ذاتها[6].

---

[3] المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية: تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، صـ 76. مادة حكيم.

[4] د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جـ1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، صـ 495. مادة الحكيم.

[5] – د. مراد وهبه: المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة، القاهرة، 207، ص286، مادة حكيم.

[6] Donald Phillip Verene: Hegel's Recollection: A Study of Images in the Phenomenology of Spirit, SUNY Press, u.s.a, 1997. P. 109

ج. الحكيم عند الرواقية:

يناضل الكل منذ سقراط ليصف مثالية الحكيم الذى من خلال تبصره وفضيلته يمتلك السعادة ، ومعظم المميزات البارزة لتصور الحكيم حددت فى هذه الفترة، لذلك نجدها عند الرواقية والأبيقورية والشكاك فهم لا يملون ولا يكلون عن تمجيد صفات الحكيم فهو: الحر، الجميل، الملك، الغنى السعيد، الإله، فالظروف الخارجية لا تؤثر على فضيلته ولا سعادته، فالعالم لا يقلقة [7]، والحكيم هو الشخص الذى لا ينصب اهتمامه على تأسيس الترابط العقلى والتوفيق بين هذاالترابط وبين الطبيعة الكونية الكلية، وإن دل هذا الترابط أو التماسك العقلى على أنه مادة يمكن إحرازها بعيداً عن أى إنجازات خارجية متعلقة بالكون، فهى من داخل أنفسنا ونابعة من إرادتنا الداخلية [8]؛ فالحكيم هو الشخص القادر على تحمل كل شىء، وهو الزاهد فى كل ما لا يخضع لإرادته عن رضا وقناعة، هو الذى تأهب لجعل رغباته تتبع الظروف إذا لم يستطيع أن يجعل الظروف تتبع رغباته [9].

إن الأخلاق الرواقية نشأت على أساس مجموعة من الأوامر المثالية، وعلى الحكيم الإلتزام بمثل هذه الأوامر وتنفيذها، كما أن عليه توجيه هذه المثالية التوجيه الصحيح، وإن كانوا لا يعتبرون هذه المثالية درجة من درجات الحكمة[10]؛ فالحكيم الرواقى شأنه شأن الحكيم الأفلاطونى والأرسطى والأبيقورى، حيث لا يعبأ بما يطرأ عليه من تقلبات الدهر، وطالما أنه ينعم بالسعادة الحقيقية ثم إن الحكمة لا تقوم على مراحل ودرجات كما أنها لا تنطوى على أقسام منفصلة متمايزة، بل من كان على درجة من الحكمة كان حكيماً حقاً، ومن ملك بعض عناصرها ملكها كلها، كما أنه يستحوذ على الخيرات كلها من عقل وحكمة وحصافة، ويترك للآخرين الشرور كلها من جنون وجهالة وغرارة.

وهذا ما ذهب إليه "شيشرون" بأن الإنسان مولود ليتأمل العالم ويحاكيه، وهذا التصريح من جانبه يعد ترجمة لوصية الرواقية المتعلقة بوحدة الوجود التى تماثل الإنسان بالإله، وبتأمل طبيعة العالم، ويدرك المرء مجموعة المبادىء التى تمكنه من العيش وفقاً للطبيعة، ومن خلال هذا تكون حياته منسجمة مع نفسها، ويكون نظير الإله بشكل واقعى[11]؛ فالحكيم هو الذى يمارس حياته وفق طبيعته الانسانية، ويجتهد فى استنباط الكمال من قوانين الطبيعة التى تمكنه من الإرتقاء والسمو لبلوغ السمو الإلهى، وتؤهله للسعادة الأبدية والحياة الروحية الخالصة فى الواقع[12]. الحكيم هو الذى يملك زمام السيطرة على الإنفعالات وعلى أفعاله فى العموم فهو الوحيد الذى يميز بهدوء النفس وثباتها وخاصة فى مواجهة الكوارث والشدائد، فروح الحكيم قوية وصلدة لا تتأثر بالأحداث ولا تشكو فهى تسمو على كل الصعاب، بل وتتأهب لها فلا تفاجئها الظروف[13].

---

7 Wilhem Windeland: AHistory of Philosophy , Volume 1, Harper & Brothers, Publishers,New York,1958.p.160

8 Sedley David, The Hellenistic philosophers, Vol2,Greek and Latin texts with notes and bibliograpny, Cambridge University Press, 1987, p.173.

9 أندرية كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1979، ص87.

10 Johansen Karsten, Op.Cit, p.469

11 - Seneca: Happy Life, In Epistulae Morales, Ad Lucilium Epistulae Morales, With an English Translation BY Richard. M. Gummere, Loab classical library,vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1925, EPISTULAE XCII,2, p.109

12 د.عصمت نصار: تصور الإنسان الكامل من عالم الأساطير إلى عالم الجينوم– دار الهداية – مصر – الجزء الأول – من الميثولوجيا إلى اليوتوبيا– الطبعة الأولى – 2004م – ص 206.

13 Seneca: On Pleasure and Joy, In Epistulae MoralesI in Ad Lucilium Epistulae Morales With an English Translation BY Richard. M. Gummere, Loab classical library,vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1925, EPISTULAE LIX,10 , p 415.

وإن كانت الرواقية قد قسمت الفلسفة إلى ثلاثة أجزاء وهى المنطق والطبيعة والأخلاق فإن هذا التقسيم قد ينداح فى الطبيعة لخدمتها، فإن الرواقية تبتعد فى تعريفها للحكمة عن هذا المبدأ والرواقيون يعرفون الحكمة بتعريفين الأول وهو "الحكمة هى معرفة الأمور الإنسانية والإلهية"، وهذا التعريف يتضمن التقسيم الثلاثى للفلسفة والذى ينطبق على الحكمة بما أن الفلسفة ممارسة الحكمة، والتعريف الثانى هو أن الحكمة هى "الخبرة الملائمة fitting expertise"، أى هى ممارسة لخبرة ملائمة لحياة أفضل للبشر، ودعوة الخبرة الملائمة للحكمة، والتى هى معرفة الامور الإنسانية والإلهية[14].

ثانيا: الحكيم بين المظهر والجوهر عند لاوتسو وسينيكا.

عدد كل من لاوتسو وسينيكا الصفات التى يجب أن يتمتع بها الشخص الحكيم، أو بالأحرى من يمكننا أن نطلق عليه مسمى الحكيم، ونجد الحكيم الصينى لاوتسو يعرض المقصود بالشخص الحكيم، وذلك فى كتابيه المعنونين بـ"أناشيد الطريق والفضيلة، وفهم الأسرار"[15]. ويقول فى ذلك**:"** الحكيم هو من يعالج الأمور البسيطة باعتبارها عويصة، فطريق السماء يمتاز فى تخطى المصاعب دون صراع، وفى الاستجابة دون كلمات، وفى التلبية دون نداء. وبالرغم من أنها تبدو وئيدة الخُطى لكن شبكة السماء شاسعة، ورغم ثقوبها الواسعة فلن يفلت منها شىء[16]. ويقول أيضًا**:"**والحكيم هو من يرتدى رداءً متواضعًا، ولكنه يحمل فى دخيلته جوهرة من العقيق[17].

وهنا يرى ان الشخص الحكيم من يتخذ طريق البساطة سبيلا له وليس الطريق المركب الذى انتهجه المعاصرين والمحدثين ممن أطلق عليهم فلاسفة، والطريق السهل يقتضى أولا بأنه يعالج كل الأمور على وتيرة واحدة فليس فيها يسيرا وصعبا وثانيا أن لباسه متواضع لأن الجوهر الحقيقى ليس فى الملبس ولكن فيما تبطنه ذاته، ثالثا أنه مرتبط بالكون فلا يحتاج أن توضح له حتى يستجيب لك حيث يستجيب بلا دعوة منك للمشاركة لأنه يدرك ما يعج به نفسك والكون معا، "ومن عادة الحكماء أن يعترضوا أولا ثم يتعاونون فيما بعد، لكن الناس العاديون يتعاونون أولا ثم يعترضرن فيما بعد[18].

وإن كان الحكيم على هذه الشاكلة فهو لا يدعى المعرفة**،"**فمن الأفضل أن يعرف المرء ثم يعرف أنه لا يعرف، ومن الأسوإ ألا يعرف المرء ثم يزعم أنه يعرف، فالوعى بالمصاعب يؤدى إلى اجتنابها، والحكيم لا يواجه مصاعبًا لأنه عارف بها[19]. وقد يتساوى هذا الحديث مع قول سقراط إننى لا أعرف إلا شيئا واحدا وهو أننى لا أعلم شيئا، رغم أنه كان أعلم قومه، ولكنه يعلمنا على منوال لاوتسو أن الحكيم الحق لا يدعى الحكمة.

---

[14] Brouwer, René.: The Stoic Sage: The Early Stoics on Wisdom, Sagehood and Socrates, Cambridge University Press,2014, pp8- and 41.

[15] Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, translated by. Thomas Cleary, first published, Shambhala publication,Inc, U.S.A, 1991,pp3-4

[16] لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة، ترجمة تراث واحد، جمعية المكنز الإسلامية، لندن، 2016م، 73، ص95.

[17] المصدر نفسه، 70،ص92.

[18] Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, P119.

[19] لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة71، ص93.

"وقد يزيد لاو تسو فى وصف مظهر الحكيم فإذا كان قد وصف لباسه بالمتواضع فقد يفسر هنا معنى التواضع فى الملبس حيت "لا يرتدى الحكماء ملابس غريبة ولا يتبعون سلوكا مستهلكا، وليست ثيابهم عبثية وليس سلوكهم اعتباطيا، ولا ينتفخون بنجاح ولا يستنكفون من تشرد، ولا يتباهون لو اشتهروا، فهم مختلفون ولكن بلا غرابة، ويعتمدون على مالا اسم له، ويسمى ذلك التحكم العظيم[20].

وإذا كان الحكم على مظهر الإنسان ينحصر فى الملبس فلا يمكن أن يكتمل إلا بوصف المأكل أيضا لذلك إذا الحكيم متجردا فى الملبس ومتواضعا فيه ويلبس على قدر قامته فإن هذا السلوك يندرج فى المأكل فيقول لا وتسو "إن الذين ندعوهم حكماء لا يفعلون إلا أن يناسبوا أحوالهم الحقيقية، وهذا كل شيء، ويأكلون ملئ بطونهم ويلبسون على قدر قامتهم، وحيث إنهم معتدلون فليس من المحتمل أن يطغى على عقولهم سلوك ملوث بالجشع[21].

وبعد أن وصف لا وتسو ملبس الحكيم ومأكله واللذان يعبران عن التكاملية الوجودية لمعاش الحكيم راح لاو تسو يصف طريقة تأملهم " ولكى يجلوا عيونهم لا ينظرون، وكى يهدئوا آذانهم لا يسمعون، ويغلقون أفواههم فلا يتكلمون، ويتركون عقولهم على سجيتها فلا يفكرون، ويهجرون الفكر فيعودون إلى البساطة الأولانية، ويريحون روحهم الحيوية فينفصلون عن المعرفة، ولذا لا يعانون من حب أو كره، ويسمى ذلك التحقق الأعظم[22].

وهنا نلاحظ التكامل الحقيقى لوجود الحكيم الذى لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود طريقين وهما طريق التحكم الأعظم وطريق التحقق الأعظم، حيث يعتمد كلاهما على الأخر، فإذا تحقق الطريق الأول كان نذيرا بظهور الأخر، فبالتحكم فى الملبس والمأكل تتضح معالم الصفاء الذى ينجلى بالحياد بين الحب والكره والرجوع إلى البساطة وإراحة الروح من عذابات المعرفة ومن هنا يحدث التحقق الأعظم

وهذا الطريق الذى يحدث فيه الصفاء كما هو واضح انبنى على مراتب، فإنه تخلص أولا من علائق المادة وهى المأكل والمشرب كمرتبة أولى، ثم وقف على الحياد بين الحب والكراهية كمرحلة ثانية، ثم إراحة الروح من وعثاء المعرفة كمرحلة رابعة، ثم مرحلة الصمت والتى لا يتكلمون فيها ولا يسمعون ولا ينظرون كمرحلة خامسة، وبملاحظة هذه المراتب نجد أنفسنا ليس أمام الحكيم بل عارفا، ثم يتحول العارف إلى معروف حيث يتساوى العارف والمعروف فى المرحلة الخامسة.

وإن التوازن الحقيقى بين طريقى التحكم الأعظم والتحقق الأعظم ينبغى أن يكون على هذا الدرب رغم أن حكمة لاوتسو تدرك أن "الناس يشتاقون إلى المكانة والقوة الثروة، ولكن إن ضاهيتها بالجسد فلا قيمة لها، ولذا كان الحكماء يأكلون ما يكفى لحفظ الطاقة ويلبسون ما يكفى كسوة أبدانهم لاتقاء البرد، ويتوائمون مع أحوالهم الحقيقية وينكرون غيرها، ولا يفكرون فى ربح ولا يختزنون كثيرا".

ومن وسائل تحقيق التوازن أولًا " الحكماء لا يطمعون فى شيء فلا يخسرون شيئا، ولا يفتعلون شيئا فلا يفشلون فى شيء[23]. وثانيًا لا يسعى الحكماء إلى الشهرة حيث إن أعمالهم لا تتطلب مديح معرفتهم، وتتبع إرادتهم تلقائية الطبيعة دون إضافة شيء من عندهم[24]. وثالثًا النظر فى فضيلة الإحسان " وفضيلتك فيما تعطى لا فيما تأخذ، ولذا يقدر الحكماء الغير لو أرادوا أن يقدرهم الغير، ويبدأون باحترام الغير لو أرادوا أن يحترمهم الغير، وحينما يرغبون فى غلبة أحد، فإنهم يغلبون أنفسهم أولا، وحين يقصدون تسفيه الآخرين فإنهم يتضعون بأنفسهم أولا،

---

[20] Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, op, cit, p 68.
[21] Ibid, p50.
[22] Ibid, p47.
[23] Ibid: p60.
[24] Ibid: p64.

فهم نبلاء وفقراء معا، ويلجأون إلى الطريق كى يتحكموا فى ذلك[25]. ولذلك يختار الحكيم أن يكون دائنًا دون أن يطالب بالوفاء بالدين، فالفاضل يسوى الدين والفاجر يتولى الجباية، إن طريق السماء هو عدم الانحياز، ودائمًا ما كانت السماء إلى جانب الرجل الشريف[26]. والحكيم لا يكتنز، فقد أنفق ما لديه على الآخرين، وبالرغم من أنه أنفق ما لديه، فما زال هو الأغنى، فطريق السماء يغنى ويثمر، وطريق الحكيم عامر بالنعم، فهو لا يدخل فى صراع مع أحد[27].

وأما عن مظهر الحكيم وجوهره عند سينيكا فإنه يرى أن جوهر الحكيم ربانيا ويتصف بصفاته حيث لا يمكن لأحد أن يسيطر عليه " وليس بمقدور أحد أن يضر الحكيم أو ينفعه، حيث إن الأمور الربانية لا تحتاج إلى عون وليس بالمقدور الإضرار بها، ويوجد الحكيم كجار مجاور للأرباب، وهوشبيه بالرب إلا فى أخلاقياته، وهو يكافح ساعيا نحو الأمور السامية والمُحكمة والجسورة التى تتدفق من مسار متساوٍ ومنسجم متحررا من القلق والنوع، وموجودا لأجل الخير العام، وصافٍ لنفسه وللآخرين، لا يرغب فى الدنية، ولا يدمع على شئ[28]. ويقرر سينيكا هنا حقيقتين رواقيتن الأولى وهى أن على الإنسان يعيش متحررا من القلق بكل صنوفه وخاصة القلق من الموت والثانية العيش للخير العام فالعقل الصريح أو المستقيم الرواقى لا يحيا لذته فحسب بل يعيش من أجل الكل، ومعن الكل هنا هو البشر برمتهم.

ولذا من الضرورة أن يعايش الحكيم الناس لأن" من يعتمد على عقله ليدعمه ويدخل فى أحداث البشر بعقل ربانى لا يمكن أن يتلقى أذى فى أى أين، وهل تعتقد أننى أقصد الضرر من البشر فحسب؟ ولا حتى من الحظ، فحين يقبل الحظ للقتال مع الفضيلة فإنه لا يسير بعيدا عن موازاتها، ولو تلقينا بعقل هادئ وصافٍ أكبر الأشياء على الإطلاق التى تتجاوز الأوامر الغاضبة وقسوة السادة فلا شئ يهددنا والتى يستعملُ فيها الحظ نفوذه، وإذا علمنا أن الموت ليس أمرًا سيئا، وهو هكذا ليس ضرا فسوف نتسامح مع الأمور الآخرى مثل الفقد والحزن وتلوث السمعة وتغير المناخ ووفاة الأقارب والفُرقة، وهذه الأشياء لا تغمر الحكيم ولا تطوقه، وهو يقلل حزنه على انقضاضاتهم الفردية، وإذا تحمل أذى الحظ باعتدال فكم سيزيد ما يتحمله من البشر وهو يعلم أنهم فى أيادى الحظ![29].

وهكذا يتحمل كل الأمور كما لو يتحمل شتاء مخدر وطقس ردئ فى السموات، وكما يتحمل الحمى والأمراض والأمور الآخرى التى تحدث بالصدفة، ولا يضع فى باله أحدا يعتقد أنه فعل شيئا عمدا ضده، وهذا ما ينسب للحكيم وحده، وكل الناس الآخرين لا يتشاركوا فى الروية بل فى الخداع والخيانة والتغوطات غير الموافقة للعقل، وهو يعد هذا مجرد أعراض، بل كل أحداث الصدفة الغاضبة حولنا ساعية لأهداف لا قيمة لها[30].

"ومن يتأثر بالإهانة لا يُبين فى نفسه شعورا طيبا أو أى ثقة، لأنه يحكم دون لمحة شك ولا يُولى اهتماما، ولا يحدث هذا دون تصاغر بعينه فى العقل يُضعف ذاته ويحط منها، والحكيم على النقيض يُولى اهتماما بأى أحد، فهو يعرف عظمته، ويعلم أن ليس لأحد سلطة عليه، وكل هذه الأشياء لا أسميها شقاوات العقل بل بالحرى كدر، والحكيم لا يهزمها والأحرى لا يشعر حتى بها[31].

وشعور الحكيم تجاه كل الناس هو نفس شعور الطبيب تجاه مرضاه، فالطبيب على استعداد للتعامل مع أجزائهم إن أحتاجوا للمداواة ويفحص إفرازاتهم بولهم أو تطوله شتيمة من هذيان جنونهم، ويعرف

---

[25] Ibid: p69.

[26] لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة، 79، ص 101.

[27] لاو تسو: نفس المصدر،81، ص103.

[28] Seneca: On the Constancy of the Wise Person, Translated by james ker, the complete works of lucius annaeus Seneca Edited by Elizabeth Asmis, Shadi Bartsch, and Martha C. Nussbaum, Hardship and Happiness, The University of Chicago Press, 2014, 8-2, p157.

[29] Ibid: 8-3, p157.

[30] Ibid: 9-1, p157.

[31] Ibid: 10-3, p158.

الحكيم أن كل الذين يطوفون حول التاج والأرجوانى مظهرهم حسن ولكنهم مرضى، وهو يعتبرهم لا يختلفون عن المرضى الذين يفتقرون إلى ضبط النفس، وهكذا لا ينزعج منهم إن حاولوا صنعوا فعل مخجل تجاه مداويهم، فهو يعتبر احترامهم بلا قيمة، ويؤدى الاتجاه نفسه تجاه أفعالهم التى تأتى بلا فضيلة[32].

ولا يقف الحكيم تجاه المصائب صلباً لا يتأثر:"وتضرب الحكيم أشياء أخرى حتى إنها لا تُطيح به مثل الألم الطبيعى وفقد أحد الأطراف وفقد الأصدقاء والأطفال وفاجعة احتراق وطنه فى الحرب، ولا أنكر أن الحكيم يشعر بهذه الأشياء حيث إننا لا نصفه بصلابة الحجر أو الحديد، حتى يصمد دون أن يشعر بما تحمله أنت من سوء فضيلة تقريبا، وما وجه نظرى إذن؟ إنه يتلقى بعض الجروح فيتغلب عليها ويبرئها ويوقف نزيفها، فهذه الضربات أقل من أن يشعر بها، ولا يستعمل تجاهها الفضيلة المألوفة التى نتحدث عنها والتى يتسامح بها مع المصاعب، وهو لا يسجلها أو يعتقد أنها مثيرة للضحك[33].

والحكيم لا يتحرك بإهانة أى أحد، ومع أن كل الناس مختلفون بعضهم البعض إلا أنه ينظر إليهم على أنهم متساوون لتساويهم فى الغباوة، وإن سمح لنفسه أن ينزل مرة فحسب أن ينزل للضرر أو الإهانة فيضطرب فلن يقدر على التحرر من القلق، والتحرر من القلق هو السمة المميزة للحكيم، ولن يستطيع أن يحكم على الإهانة التى فُعلت تجاهه وبالتالى يسمح لمن أهانه أن يحصل على شرف، لأن من ينجح فى إزعاج أحد بتوبيخه وبتوريطه يمكن أن يبتهج فى إعجابه[34].

ويمضى سينيكا مبرراً ما حدث لكاتو كمثالا عمليا حين يقول:" ومع هذا أقول أن الحكيم ليس عرضة للإساءة، ولذا لا يهم كم القذائف التى يلقى بها، لأن لا شئ يمكن أن يخترقه، كما لا يمكن خرق الصخور الصلبة بالحديد، ولا يمكن قطعها أو سحقها أو صحنها بل يتكسر حد الأشياء التى ترطمها، كما أن هناك أشياء بعينها لا يمكن استهلاكها بالنار حتى حين نوقد النار عليها تحتفظ بمتانتها وشكلها، كما أن صخور بعينها تبرز وتخرق البحر ولا يظهر أى أثر لوعورتها رغم تعرضها للانتهاك على مر العصور، وعقل الحكيم مثل هذه الصلابة، وقد أكتسب مثل هذه القوة التى تأمن الخلل مثل الأشياء التى رويتها[35]. "وماذا؟، وهل هناك أمرئ يحاول أن يؤذى الحكيم؟، إنه يحاول، ولكن الأذى لن يصل إليه، والحكيم ينئ عن الاتصال بالأشياء الدنية حتى لا يحمل قوتها المؤذية على طول الطريق، وحتى حين يسعى الأقوياء ليلحق به ضررا يرأفون بقوتهم ويحتفظون بها، وهجومهم سوف يسقط كل شئ إلا الحكمة كأشياء تطلق من قلوع وأقواس حتى لوطارت بعيدا عن ما تراه العين ترتد ساقطة قبل أن تصل إلى السماء[36].

ويكرر سينيكا فى مرات عدة بأن الضرر والأذى وغيرها من المصائب التى تصيب الأشخاص العاديين ليست ذات جدوى بالنسبة للحكيم حين يقول:" إن القصد من الأذى هو ما يلى، تأثر المرء بالسوء، ولكن الحكمة لم تدع موضعا للسيئ حيث إن الحكمة الوحيدة للسيئ هى الخجل والذى لا يمكن أن يدخل حيث تكون الفضيلة والخير الأخلاقى، إذن لا يوجد أذى دون سوء ولا شئ سيئ باستثناء ما يكون مخجلا، ولا يصل الخجل لأمرئ يرتبط بأمور الخير الأخلاقى، ولا يصل الأذى إلى الحكيم، وإذا كان الأذى معاناة من شئ سيئ فإن الحكيم لا يعانى من شئ سيئ، ولا يتناسب الأذى مع الحكيم[37].

وكل أذى نقص فيمن يهاجم، ولا يتلقى أحد أذى دون أن يضر بحاله أو بجسده أو الأشياء خارجه، ولكن الحكيم لا يخسر شيئا لأنه وضع كل الأشياء فى نفسه، ولم يضع شيئا فى إدارة الحظ، وقد حاز خيرا على أرض صلبة قوامه الفضيلة، وليس فى حاجة إلى أشياء الحظ فلا يزيد ولا ينقص، لأن الأشياء وصلت فى حالةٍ إلى أقصى مدى ولا مكان للزيادة فيه، ولا ينتزع الحظ شيئا إلا ما أعطاه، ولا يعطى الحظ فضيلة وبالتالى لا يأخذها، والفضيلة حرة لا تنتهك ولا تنمحى ولا تتذبذب وبالتالى عصية أمام

---

32 Ibid: 13-2, p161.
33 Ibid: 10-2, p158.
34 Ibid: 13-7, p162.
35 Ibid: 5-3, p153.
36 Ibid: 10-4, p 158.
37 Ibid5-3, p153.

أحداث الصدفة التى لا يمكن أن تلويها ناهيك عن هزيمتها، ويبقى نمطها ثابت وهى تتفرس مكائد الزلل سواء جاءت من الشقاء أم من السعادة [38].

ويتمتع الحكيم عند سينيكا بميزة مهمة وهى قدرته على التحلّى بالفضيلة، بل إنه يحوى الفضيلة فى داخله، قائلاً:" وهو لا يرغب، لأن ما يرغب فيه قد يفقده، إنه ملك الفضيلة فحسب ولا يستغنى عنها، وأما الأشياء الآخرى التى يستعملها كما لوكانت على سبيل الإعارة؟ فمن الذى يستاء مما ليس له؟، ولا يطول الأذى الأشياء التى يمتلكها الحكيم، لأن أشياءه آمنه بأمان الفضيلة، ومن ثم لا يصيب الحكيم أذى[39].

والحكيم كما قلنا لا يتأثر بفقد الأشياء، حتى لو كانت أعز ما يملك لأنه يمتلك جميع تلك الأشياء، ويضرب سينيكا مثالاً على ذلك قبض ديمتريوس على ميجارا Megara والذى أطلق عليه بوليوركيتيس 'مثالا للمدن'، وسأل الفيلسوف ستيلبو ديمتريوس عما إذا كان قد فقد شيئا، فقال "لا شئ، كل أشيائى معى"[40]. وقد نهبت ملكه وسبيت بناته، وهيمن العدو على وطنه، وقد جره الملك المزعوم لاستجوابه بالسلاح.

ومع ذلك انتزع ستيلبو انتصار الرجل منه بشهادة أنه رغم غزو مدينته إلا أنه لم يُهزم ولم يُهدم، لأنه ملك خيرا حقا لا يدعيه، وأما الأشياء التى أُنتزعت والتى تنتقل من يد إلى يد قد حكم بأنها ليست له، وبالحرى هى أشياء تغدو وتروح فى دعوة الحظ، ولذا كان يتمتع بها وكأنه لا يملكها، لأن تملك الأشياء التى تتدفق من الخارج ريب وانزلاق[41].

والآن تأمل عما إذا كان اللص وسيئ السمعة والجار الوقح أو بعض الأثرياء الذين يصنعون أنفسهم ملوكا على فاقة ستيلبو ويمكن أن يصيبوه، فلا يمكن أن تنتزع منه الحرب والعدو والخبير فى السطو على الفنون الجميلة للمدن شيئا![42].

" "ليس لديك سبب لترتاب من أن من يولد إنسانا يمكن يرتقى بنفسه فوق الأمور الإنسانية، ويمكن أن ينظر دون قلق على الأحزان والفقدان والقروح والجروح والكوارث العظمى التى تحوط به، ويمكن أن يتحمل الشقاء بتؤدة ورضى، ولا يحن لما مضى ولا يستند على ما هو أتى، والأحرى أن يُبقى الذات وسط الأحداث الشتى، ولا يفكر فى شئ إلا نفسه [43].

وأنظر لقد حضرت لأبرهن لك أن تحت هذا الأمر المدمر لكثير من المدن الحصينة التى تهتز بضربة ساحقة، وأن الأبراج الشاهقة قد تقوضها الأنفاق والخنادق السرية فتسقط فجأة، وكذلك التل الذى يرتفع ويضاهى طوله القلاع، لا يُعثر على أله يمكن أن تزعزع العقل الراسخ [44].

ثم يقول: هذا هو الطريق يا سيرينوس عليك أن تفهم كيف أن الإنسان الكامل وكمال الفضائل البشرية والإلهية لا تعانى فقد شئ، وأن بضاعتهم بحصون صلبة لا يمكن أقتحامها، ولا يمكن أن تقارن هذه الحصون بحصون بابل التى دخلها الإسكندر، وليست هى حصون قرطاجة أو نيمانتيا Numantia التى غزاها بيد واحدة، وليست هى القلعة أو الكابتول الرومانى، وتلك التى تحمل أثار العدو، وهذه الحصون تحمى الحكيم وتأمنه من اللهب والتسلل، ولا تتخلل فيه سبيلا لأنها شامخة وليست عرضة للعواصف، وتتساوى مع الأرباب[45].

---

38 Ibid: 5-4, p 153.
39 Ibid: 5-5, p 153.
40 Ibid: 5-6, p 154.
41 Ibid:5-7, p 154.
42 Ibid: 6-1, p 154.
43 - Ibid: 6-3, p 154.
44 Ibid: 6-4, 154
45 Ibid: 6-8, 155.

إن منزل الحكيم زهيد حيث لا مكان فيه للزينة والصخب والتنمق، ولا ترى فيه الحارس الذى يقسم الحشد ويمكن يرتشى ليعطيهم أذنا بالدخول، والحرى أن عتبته بلا بواب، ولا يمر الحظ عليها، والحظ يعلم أنه لا شيئ يتبعه ولا مكان له فى المنزل[46].

لقد نبذ سينيكا مفهوم الثروة كما نبذها من قبل لاوتسو حيث "إن الحكيم لا يبحث عن الثروة لأن ثروته فى البحث عن الطبيعة، فهو يسعى نحو الإنسان الكامل بالبحث فى قوانين الطبيعة التى هى أحد صور التجلى الربانى؛ ولذا يبتعد عن الرزائل ويتشبث بالفضيلة التى تعينه على الارتقاء إلى المحل الربانى والسعادة الأبدية، وعلى حد تعبيره " الأرعن فحسب من يعتقد واثقا أن الثروة هى الضمانة، فقد حاز الحكيم كل مظاهرها في عقله، وهو يعرف كيف تؤدى للخطأ، وكيف تجعل أعمال الإنسان ظنا، وكيف تعرقل أهدافنا، وهو يقظ لأشياء الظن وإنزلاق مسار الاختيار، ويُقدر بحكمة راسخة عدم استقرار الأحداث، ولكن الإحاطة التى يمتلكها في غاياته وتعهداته تحميه هنا أيضًا[47]. ومن هنا جاء مفهوم الإحسان الذى طرحه فى كتابه عن الإحسان.

حيث إذا تعلق مفهوم الإحسان بالحكيم ينبغى أن نميز بين نوعين منه؛ أحدهما يتبادله الحكماء فيما بينهم، والآخر ما هو شائع بين الناس "إن التمييز التالى يقتضى أن نميز بين نوعين من الإحسان، الأول الذى يعطيه الحكيم للحكيم وهو إحسان كامل وأصيل، والثانى شائع ومعتاد، وهذا النوع قد يتعلق بالتجارة[48].

وقد يقتضى رد الإحسان دون النظر لصفات من أعطى؛ لأن الرد دلالة على من أتقى من الناس، وهم من فى الإحسان من النوع الثانى "ولا شك أنه بالنظر إلى النوع الأخير ينبغى إن يرد للمعطى دون الاهتمام بصفاته سواء تحول إلى قاتل أو سارق أو عاهر، فالجرائم تغطيها قوانين تخصها، ومن الأفضل للقاضى أن يعاقب الآثمين لاقترافهم الجحود، فلا تمكن أحدا من أن يجعلك سيئا لأنه هو كذلك، سألقى الإحسان لرجل سيئ وأجعل الرد لرجل حسن، فالأخير أنا في دينه والأول خارج عن دينه[49].

ولا خلاف فى الإحسان من النوع الأول حيث يفترض النوع الثانى التكافؤ بين المعطى والمتلقى للإحسان " فإن كنت لا أقبله إلا إذا كنت حكيما فإننى لا يمكن أن أرده إلا للحكيم، " وافترض أننى رديت له فإنه لا يمكن أن يتلقاه، لأنه فقد معرفته بكيفية استعماله، فماذا يحدث إذا دفعتنى أن أرد الكرة لرجل فقد يده؟ فمن الغباء أن تعطى شيئا لأحد ولا يمكنه تلقيه"[50].

ويقول سينيكا "يرى البعض إنه لا يعطى شيئا لأحد وليس بمقدوره تلقيه، ومع ذلك سوف أرده حتى لو لم يكن بمقدوره تلقيه، حيث إذا رديت فسوف أحرر نفسى من الالتزام على الأقل، وإن كان ليس بمقدوره استعماله؟ فدع الخطأ يقع عليه وليس منى. ولكن سينيكا يرى" لكى ترد شيئا هو أن تسلمه لأمرئ سوف يتلقاه، وماذا بعد؟ إن كنت مدينا لأمرئ ببعض نبيذ وقال لك صبه في شبكة أو غربال ألا تقول إنك رددته؟ أو أنك أعددت لترد شيئا مربوطا بالفقد في نقله من مكان إلى آخر؟" ورد الشئ هو رد لعطاء أدنت به، وإذا أراده صاحبه فإن يتبعه، وهذا كل ما علىّ أن أقوم به، وعليه أن يمتلك ما تلقاه منى وهو مسألة مستقلة، وأدين له بحسن النية وليس بخدمة الراع، والموقف الأفضل بالنسبة له أن لا يكون امتلاكه للشيئ بديلا لعدم ردى له، سوف أرد لدائنى ماله حتى لو بدده في أطعمة فاخرة، وحتى لو عينه

---

[46] Ibid: 15-5, 164.
[47] Seneca: Seneca: on bonefits, The University of Chicago Press, Ltd., London, 2011, B4, 4-34.
[48] Ibid: b7, 17-1.
[49] Ibid: b7, 17-2.
[50] Ibid: b7,18-1.

للعاهرات، أو حتى أخذ النقود وسقطت من خرم محفظته[51]، فدورى أن أرد له لا ان أحميه وأحرسه، وما أدين به هو رعاية الإحسان الذى أسلمه له وليس رعايته هو، وأرى أنه سيكون دينه آمنا معى وسوف أشار بأصابعه ليأخذه سوف أرده له، وسوف أرد الإحسان للرجل الصالح حين يلمح بهذا، وسوف أرد للرجل الطالح حين يطلب والرد هو" سوف تعجز عن رد نوع الإحسان الذى تلقيته وقبلته من الحكيم ولكن رددته لأحمق" ليس كذلك، أنا رديت له نوع الشيئ الذى يقدر على تلقيه الآن، وليس عملى أن أرد ما تلقيته في ظرف سيئ، إنه عمله هو، وإن عاد إلى رشده سوف أرده في نفس الظرف الذى تلقيت فيه، وطالما هو إنسان سيئ سوف أرد له الإحسان في أى ظرف يمكن أن يتلقاه فيه، والرد" وماذا لو لم يصبح سيئا بل بهيما ضاريا، أى وحشا مثل أبوللودوروس Apollodorus أو فالآريس Phalaris؟، هل لا تزال تريد أن ترد لهم الإحسان الذى تلقيته؟ فالطبيعة لا تتيح لصفات الحكيم ان تتغير بشكل كبير، والمرء لا يسقط من الأفضل إلى الأسوء مباشرة، وقد تبقى بعض الخصال الحسنة في المرء السيئ، ولا تشتم الفضيلة أبدا مما لا يترك خلفه بصمات على العقل والذى قد ينمحى بأى تغيير في الشخصية [52].

والحكيم كذلك هو من لا يغيّر رأيه وهذا ما يقرره فى مقاله 'العمل بما ننصح به' "أن الحكيم يرغب فيما يجب عليه فعله، ويرفض ما يجب أن يكف عنه، فتعريف الحكمة هى الرغبة الدائمة للشئ ورفضه فى آن، فالحكمة تمكنه من اختيار ما يرغب فيه والكف عن ما يرغب فيه"[53]. وفى الكتاب الرابع من الإحسان يحاول سينيكا أن يطبق ما قرره فى الرسالة السابقة على مفهوم الإحسان ومسألة هل يجوز أن تعطى إحسانا لمن علمت أنه جاحد أم لا ويقول " وإذا وعدت أمرئ أن تعطيه إحسانا وعلمت أنه جاحدا بعد ذلك فهل ستعطى له أم لا؟ فإذا فعلته وأنت مدرك لما تفعله فأنت مخطئ لأنك أعطيت شيئا لا ينبغى أن تعطيه، وإن رفضت فعله فأنت مخطئ أيضا، لأنك لم تعط شخصا وعدته، وقد يتذبذب ثبات رواقيتك في هذه المسألة بادعاء فخر أن الحكيم لا يندم على فعله، ولا يصحح ما فعله ولا يغير رأيه[54].

وحين يضع الحكيم رأيه لا يغيره حين تبقى المواقف المحيطة به كما هى، ولهذا السبب لا يندم على تجاربه لأنه لا شئ أفضل يمكن أن يفعله الآن أزيد مما فعله، ولا قرار أفضل مما قرر، فهو ينتهج كل شئ بإحاطة، " إن لم يحدث شيئا يعرقله"، ولهذا السبب نقول كل شئ يتحول إلى نجاح بالنسبة له، ولا شئ يحدث مناقضا لتوقعه، لأنه يفترض مسبقا الشئ الذى يمكن أن يحدث ليمنع ما يرغب فيه[55]، ويُدلّل سينيكا بمثال الحكيم ستيلبو Stilbo حين تعرضت بلاده للغزو وسلب بيته واغتصبت بناته، وسألوه إن كان قد فقد شيئا فقال لا شئ فكل شئ فىّ[56].

وبذلك فالحكيم يملك زمام السيطرة على انفعالاته وعلى أفعاله فى العموم، فهو الوحيد الذى يتميز بهدوء النفس وثباتها، خاصة فى مواجهة المصائب والمحن، ويقول سينيكا فى ذلك:"الحكيم هو من يبقى متأهبًا دوماً، لا يخشى هجمات الفقر أو الحزن أو الألم أو المهانة، بل يواجهها وينتصر عليها"[57].

رابعًا: الحكيم والسلطة

---

[51] حرفيا حتى إذا وضعهم فى طيات عمته أو سقطت بلامبالاة من حزام خصره على الأرض.

[52] Ibid: b7,318-19.

[53]

[54] Seneca: on bonefits, b4,3-34.

[55] Ibid: 4-34

[56] Seneca: on Firrminess in Ad Lucilium Epistulae Morales With an English Translation, by john .W. Basore, Loab classical library vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1979, , V,2-5, p61.

[57] Seneca: on pleasure and joy, op.cit, LIX,8 , p 415.

قد أفاض لاوتسو وسينيكا فى الحديث عن مظهر الحكيم وجوهره إلا إن أمر الحكيم قد يتعدى هذا الموضوع، ودائما يتبادر للذهن إذا هناك حكيما فما علاقته بالسلطة؟ وهل يمكن أن يكون الحكيم حاكما طالما قد وصل إلى هذا القدر من الحكمة؟ إن لاوتسو قد أسهب أيضا فى الواجبات التى تقع على عاتق الحكيم حتى يتقلد السلطة، ولكن من البديهى أن يكون هناك أوليات تدرك فى طبيعة وجود البشر والاقتناع بمفهوم إصلاح الفاسد، ويقدم لنا لاوتسو نصا فى كيفية التعامل مع الأشياء، وهذه الأمور قد تصلح فى نظام الحكم وهو يقول " من السهل التحكم فى موقف قبل أن يستفحل وتظهر مشاكله، فكسرُ ما ضعف هين، وإذابةُ ما دق بسيط، فتعامل مع الشىء قبل بدايته عندما يكاد ألا يكون شيئًا، وحافظ عليه فى نظام قبل أن يتحول إلى فوضى، فالشجرة السامقة التى لا يحيط بها الذراعان، تبدأ برعمًا صغيرًا، والشرفات ذات الأدوار التسعة تقوم على أرض منبسطة، ورحلة الألف ميل تبدأ من موضع القدم، ومن حاول أن يصنع شيئًا سيدمره، ومن حاول أن يمسك بشىء سيفقده، ولذلك لا يدمر الحكيم شيئًا لأنه لا يصنع شيئًا، ولا يفقد شيئًا لأنه لا يحاول أن يمسك بشىء، والناس يدمرون أعمالهم دائمًا وهم على وشك إنجازها، وما خَرُبَ لن يقوم، والحكيم يرغب فى ألا يرغب، ولا يقيم وزنًا للمقتنيات الثمينة، ويتعلم ألا يتعلم، ويصلح أخطاء الدهماء حتى يعين الخلق على العودة إلى طبيعتهم والإحجام عن الجرأة فى أعمالهم[58]. وهذا النهج الذى يقدمه لاوتسو نهجا أنطولوجيا يبين فيه كيف يمكن للحكيم أن يتعامل مع الأمور، كما يوضح كيف يُفسد الناس أعمالهم، وكيف بمقدور الحكيم أن يصلحها، ويقودهم الدهماء إلى الطريق الحق.

وقد يضيف لاوتسوعلى ماسبق فى كيفية التعامل مع الأشياء ما يأتى أعمل ما لا يلزمه عمل، واتبع ما لا يتطلب عدوانًا، وتذوق ما ليس له طعم، اجعل مما صغر كبيرًا، ومما قل كثيرًا، وأفعل الخير فيمن فعل بك الشر، وتحسَّب لإنجاز الصعب قبل أن يصعب، واصنع الضخم من بداية صغيرة، فالأمور الصعبة لا بد لها من بداية سهلة، والأمور الجسيمة لا بد لها من بداية بسيطة، ولذلك كان الحكيم عظيمًا لأنه لم يستهدف العظمة، ومن تهور فى الوعود نادرًا ما يوفى بها، وغالبًا ما يكسب عداوة بلا سبب، ومن اعتاد سهولة المسائل وقع فى أسر المصاعب، والحكيم هو الذى يعالج بسائط الأمور باعتبارها عويصة، ولذلك لا تنتصر عليه المصاعب[59].

وبعد أن يضع لاوتسو أوليات التعامل مع أمور الدنيا يرسى مبادئ حكم الناس، وهو يقدم نظرية اللافعل أو عدم التدخل، أعنى يضع الحكيم نفسه نموذجا للناس فيستقيم أولا، فإذا استقام أستقاموا، وهو يقول بصيغة الأمر" أحكم الدولة بالاستقامة، وشن الحرب بالمكر، ولكن اكسب المملكة بالامتناع عن

---

58 لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة64، ص86.

59 المصدر نفسه 63، ص85.

التدخل، وكيف يعرف المرء أن الأمور تسير على هذا المنوال؟ كلما زادت المحرمات فى المملكة زاد الفقر، وكلما زادت أدوات العدوان فى أيدى الناس، أظلم عقل الدولة، وكلما زادت مهارة الناس، زادت البدع فى المملكة، وكلما كثرت القوانين والأوامر زاد اللصوص وقطاع الطرق. ولذلك قال الحكيم إنه لا يفعل شيئًا، فيعتدل الناس من تلقاء أنفسهم، يُفضل السكون فينصلح الناس من تلقاء أنفسهم، لا يتدخل فيثرى الناس من تلقاء أنفسهم، يتحرر من الرغبة، فيصير الناس بسطاء من تلقاء أنفسهم ' كحجر غُفل'[60].

وهذا النص بجانب أنه يوضح نظرية عدم الفعل إلا يضع انه يرسى لنظرية العقد الإجتماعى التى أتى بها روسو فى القرن الثامن عشر، ويضع العلاقة بين الحاكم والشعب علاقة طردية فإذا فسد الحاكم فسد الشعب وإن صلح صلحت أرجاء الدولة، وإذا كان روسو قد قدم نظريته عن الفنون والعلوم، ورأى فيها أنه كلما زادت الفنون والعلوم زادت الرذيلة فإن لاوتسو قد أقر هذا فى النص السابق حين يرى كلما زادت المحرمات فى المملكة زاد الفقر، وكلما زادت أدوات العدوان فى أيدى الناس، أظلم عقل الدولة، وكلما زادت مهارة الناس، زادت البدع فى المملكة، وكلما كثرت القوانين والأوامر زاد اللصوص وقطاع الطرق.

ولتفادى مساوئ الحكم فعلى "من يرغب فى حكم الناس عليه أن يتواضع لهم فى دخيلة نفسه، ومن أراد أن يقود الناس اتبعهم فى باطنه، فيتولى الحكيم على الناس دون أن يثقل كاهلهم، ويقودهم دون أن يعوق مسيرتهم، ولذلك تسانده المملكة بفرح غامر، وليس فى المملكة من يصارعه لأنه لا يصارع أحدا[61].

وإن الحكم ليس أمرًا صعبا "إن حكم إمبراطورية شاسعة أشبه بطبخ سمكة صغيرة، فحين نحكم الإمبراطورية بمقتضى الطريق تفقد الأرواح الخبيثة سيطرتها، أو هى بالأحرى تمتنع عن أذى الناس، والحكيم لا يؤذى قومه وقومه لا يؤذون بعضهم بعضًا، وحيث إن كلاهما لا يؤذى أسند كل منهما الفضل إلى الآخر[62].

ويستمر لاوتسو فى إرساء العلاقة الطردية فإن العلاقة السيئة التى تحدث من إذدياد الرفاهية وهلاك الدولة فالعكس قد يكون صحيحا " فحين تكون الدولة بسيطة يصبح الناس بسطاء، وحين تكون حويطة يصبح الناس خبثاء، فحسن الطالع قابع على المصائب، والمصائب ترقد تحت حسن الطالع، فمن ذا الذى

---

60 المصدر نفسه: 57، ص79.
61 المصدر نفسه: 66، ص88.
62 المصدر نفسه :60، ص 82.

يعرف الحدود؟ أليس هناك أناس مستقيمون على الطريق؟ إلا أن الاستقامة الظاهرية تحول إلى اعوجاج، وتستحيل الوداعة المفتعلة إلى شراسة، والحق أن الناس قد تحيروا منذ زمان طويل، ولذلك كان الحكيم حادًا، ولكنه لا يخدش، ومدببًا ولكنه لا ينخس، ومتوسعًا ولكن ليس على حساب الآخرين، ولامعًا ولكنه لا يبهر[63].

ولا يمكن لأحد أن يخرج عن ناموس الطبيعة، وحتى لو حاول أن ينتهكه لن يستطيع، واى تطرف فى استعمال الطبيعة يفسدها، والحكيم من لا يتزيد أويتطرف فى استعمالها ولا يغتر بسلطانه "أليس هناك من يبغى امتلاك العالم ليفعل به ما يريد؟ أرى أنه لن يتأتى له النجاح! فالعالم وعاء مقدس لا يجوز العبث به ولا الجرى وراءه، فالعبث به يُفسده، والتمسك به يُفقده، وفى كل الأمور أوان للريادة وأوان لاتباع قيادة، أوان للشهيق وأوان للزفير، وأوان للنمو وأوان للضمور، وأوان على ظهر الأرض وأوان فى بطنها، لذلك تعين على الحكيم أن يجتنب كل تطرُّفٍ ويحذر كل تزيدٍ وتكلُّف وينأى عن الغرور[64].

كلما أمعن الحكيم فى الحكمة صار أشبه بطفل وليد، لا يلسعه زنبور ولا تلدغه حية، ولا يهاجمه وحش كاسر، ولا ينوشه طير جارح، ليِّن العظام طرى الأوتار ولكن قبضته مكينة، فهو ينمو فى أوج نشاطه، يصرخ طوال يومه ولا يشج صوته، ذلك لأنه يعيش فى تناسق تام،ومعرفة التناسق هى معرفة الدائم، ومعرفة الدائم تعنى التمييز، واستعجال النمو فى الحياة نذير خطر، فأن يجور العقل على التنفس عنوة هو أمر عنيف (•)، وأن يؤذى امرئ فى عنفوانه مسنا فى شيخوخته، هو نقيض للطريق، ومن يسير على عكس الطريق يلقى نهاية قريبة[65].

وقد وضع لا وتسو أسبابا للإحجام عن الحكم ويأتى الأحجام عن المحكوية للموروث عن الحكام لأن " الحكام الذين برعوا فى الطريق لم يعملوا على تنوير الناس بل عمدوا إلى تضليلهم، فصعوبة حكم الناس راجعة إلى حذق الحكام، وحكم الدولة بالحاذقين سوف يعود عليها بالخسارة، وحكمها بلا حذق سيعود عليها بالنفع، وهذه المثالات من أسرارية الفضيلة، فأسرارية الفضيلة عميقة المغزى بعيدة المقاصد، ولكن حين تنعكس الأمور فإنها تنعكس معها، وحينئذ فحسب، يتحقق الاتساق التام[66].

---

63 المصدر نفسه : 80،58.

64 المصدر نفسه :29، ص50.

• هى إحدى الوسائل فى بعض مذاهب التأمل فى اليوجا الهندوسية، وهى لا تتسق مع مذاهب هندوسية أخرى ولا مع مفهوم الطاوية ولا البوذية، وخاصة بوذية الزن.

65 المصدر نفسه :55، ص77.

66 المصدر نفسه :65، ص87.

وكما أنه وضع حدا لسلوك الناس فى الدولة ومنها أولا " الامتناع عن تمجيد الموهوبين يكفُّ الناس عن التنافس والتناحر، والإمتناع عن إضفاء قيمة على السلع النادرة يكف الناس عن السرقة والنهب"، ثانيا "الامتناع عن استعراض المغريات يؤدى إلى استقرار القلوب فى سكينة" ويترتب على هذا أن يبدأ حكم الحكماء بتفريغ القلوب من الرغبة ومنع الأذكياء من الثرثرة، وإشباع البطون من الجوع، وتهدئة الطموح من النزوة، وشد القامة من التهافت، حتى يفرغ الناس لأعمالهم دون أفكار تؤرقهم، ولا رغبات تتناوشهم، وعلى الحكيم أن يتمسك بالسكينة كى يستقر كل شىء فى نظامه الطبيعى[67].

وإذا استقر قلب الحكيم وفرغ من الرغبة فعليه أن يدبِّر أعماله بلا جلبة، وينشر تعاليمه بلا مواعظ، وألا ينكر حقًا للمعطيات العارضة من الأمور، يرعاها ولا يدَّعى امتلاكها، ويتم أعماله ولا يكتنز لنفسه منها، وينجز مهامه ولا يعيش على لوك ذكراها، ولأنه لا يعبأ بذكرها فلن يحرمه منها أحد[68].

ولكن كيف يمكن أن ينجز الحكيم أعماله بلا جلبة؟ أولًا: أن يعرف العالم دون ارتحال، ويمكنك أن يرى طريق السماء دون أن ينظر من نافذته، وكلما ارتحل وحملق، كلما قلت معرفته، فالحكيم يعرف دون سفر ويرى دون نظر وينجز أعماله بلا جلبة[69].

ثانيا: أن يعرف قانون السماء ولا يتخلى عن الفضيلة لذا يقول " أعرف قانون السماء وألتزم بطرق الأرض، وكن غديرًا للمملكة تنساب فى طريق الفضيلة بلا زلل، ولن تتخلى عنك الفضيلة فتعود إلى طفولتك، اعرف الأبيض والتزم الأسود ثم عد إلى سكينتك، اعرف الشريف ولازم الخسيس تصبح واديًا للمملكة، وتسرى فى نعمة الفضيلةِ التالدةِ لتعودَ إلى البساطة الأولانيةِ 'كحجر غفل'، وعندما ينقسم الحجر الغفل، يصبح أوعيةً مفيدةً تصير فى يد الحكيم فرسانًا ومقدمين، فالخياط الماهر قليلا ما يقص[70].

ثالثا: يقول "انقص ثم اكتمل، انحن ثم استقم، افرغ ثم امتلئ، اطعن فى السن ثم تجدد شبابًا، تقاض القليل واربح، تقاض الكثير واخسر، فالحكيم هو من يتمسك بالواحد فيصير مثالا للمملكة، يخفى نفسه فيظهر، لا يعتقد فى نفسه الصواب فيرتفع، لا يثرثر عن نفسه فيشتهر، لا يتحدث عن قدراته فيصمد، لا يصارع أحدًا فلا يصرعه أحد، وعندما قال الحكماء قديمًا 'انقص ثم اكتمل'، لم يكن قولا بلا جدوى، فإنه يؤهل المرء ليصمد حتى النهاية[71].

---

67 المصدر نفسه :3، ص 24.
68 المصدر نفسه :2، ص 23.
69 المصدر نفسه :47، ص69.
70 المصدر نفسه :28، ص49.
71 المصدر نفسه :22، ص43.

وقد تحدث لاوتسو عن الطرق والأساليب المثلى لمزاولة الحكم سواء على النفس أو الأفراد ومن ثم المجتمعات: ويتحدث كتاب فهم الأسرار كذلك عن أربع طرق "يستوعب بها طريق الحكم" بمعنى حكم الذات وحكم الأمم على السواء، تحسب للمصير، وتحكم فى وظيفة العقل، ورتب الأولويات، واتسق مع الطبيعة الحقة، ويعنى التحسب للمصير أنك لن تضطرب للمصائب أو الحظوظ، ويعنى التحكم فى وظيفة العقل ألا تفرح ولا تغضب بشكل عشوائى، ويعنى ترتيب الأولويات أنك لن تشتهى ما لا حاجة إليه، ويعنى الاتساق مع الطبيعة أن رغباتك لن تشطح بك.

وعندما لا تضطرب للمصائب والحظوظ فسوف تلتزم العقل فى العمل والراحة، وحينما لا تغضب ولا تفرح بشكل عشوائى فلن تمتدح أحدا على أمل مكافئة ولن تخاف عقوبة، وحينما لا تشتهى ما لا ينفع فلن تؤذى طبيعتك بالجشع، وحينما تعتدل رغباتك فسوف ترعى الحياة وتذوق الرضى. وهذه الأمور الأربعة لا موضع لها فى خارجك ولا تعتمد على أحد، ولكنها تتحقق بالالتفات إلى النفس[72].

وقد تحدث أيضاً عن الأمور التى يجب على الحاكم الحكيم مراعاتها كى تستقيم أمور الحكم فى قوله: ولذا لا ينبغى التآمر على أحوال الدنيا بل رعايتها بحسب طبيعتها، فلا يمكن فعل شىء حيال التغير فى جحافل الأشياء، ولكن يمكن فهم جوهرها الذى تعود إليه، ولذا يرعى الحكماء الأساس الباطنى ولا يتزين ظاهرهم بالسطحيات، ويُفَّ علون روحهم الحيوية ويتركون الآراء المتعالمة جانبا، ولذا كانوا صادقين ولا يخصعون للتدابير، إلا أنه لاوجود لما لا يقدرون عليه، ولا قوانين لديهم إلا أن كل شىء يسير بلا خروج عن القانون[73].

ولذا يقوم الحكماء بأعمالهم بحسب الزمن وينجزون مهامهم بحسب الموارد، ويلتزمون طريق النقاء والإخلاص لتنظيم الأنثوى، وحينما يتقدمون ويستجيبون للتغيرات فإنهم يتبعون ولا يسبقون، ويهدأون بمرونتهم وخضوعهم، ويأمنون فى سلامهم وتساهلهم، والذين يهاجمون العظماء ويطيحون بالأقوياء لا سبيل لهم إلى صراعهم[74].

ولذا كان الحكماء كالمرايا، فلا يأخذون ولا يبحثون بل يستجيبون دون كتم شىء أو إيذاء شىء، فما يخسرونه هو ما يربحونه، والذين يتواصلون مع تناغم الكون الكلى يبدون من ظاهرهم كما لو كانوا سكارى ينعسون فى سلام، ولكنهم يجولون فى الكون، وإذا لم يتركوا المنبع يسمى التوحد الأعظم .وهذا هو استخدام اللامنفعة فى تحقيق المنفعة[75].

وأما الحكماء فيضيِّقون من أعمالهم فتصبح أكثر انتظاما، ويبحثون عن القليل فيحصلون على كفايتهم، وهم كرماء دون أن يحاولوا، ومؤتمنون دون أن يتكلموا، ويربحون دون سعى، وينجحون دون محاولة، ويعتنقون محبة الطبيعية، ويحفظون الحقيقة المطلقة ويلتزمون بالطريق، ويروجون للإخلاص فيتبعهم العالم برمته كأصداء أصوات تتردد أو ظلال شكل يتحرك، إذ أن ما يصنعون هو العمل على الجذور[76].

رابعا: "ليس للحكيم مصلحة تخصه، فإن مصالح الناس مصلحته، يعطف على العطوف كما يعطف على القاسى، ويُخلِصُ للمخلِصِ كما يُخلص للخئون، فالفضيلة هى الإخلاص، والفاضل خجول منكر لذاته

---

[72] Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, op. cit, p15
[73] Ibid: p18.
[74] Ibid: p27.
[75] Ibid: p33.
[76] Ibid: p38.

فى عالم وقح، يحفظ نفسه فى سديمية من أجل العالم، كل الناس تحملق العيون وتفتح الآذان، والحكيم فقط يبتسم كرضيع مندهش[77].

ويضع لاو تسو صفات الحاكم الحكيم على مراتب "وإن أسمى الحكام هو من لا يشعر الناس بوجوده إلا لمامًا، يليه مقامًا من يحبه الناس ويمتدحونه، ثم يأتى بعده من يخافونه ويرهبونه، ثم من يحتقرونه ويلاحونه، فلو ضعف إيمان المرء زال إخلاص الغير له، والحكيم منكر لذاته، مُقلٌّ من كلماته، حتى إن الناس يقولون بعد أن يفرغ من عمله وتكتمل كل الأشياء 'ها نحن قد حققناها بأنفسنا!'[78].

ويصنع لاو تسو مقارنة تاريخية بين الحاكم الحكيم القديم وما ينبغى أن يكون عليه الحاكم حيث "كان الحكيم من قدماء العارفين على طريق الطاو يتميز بالغموض والمرونة والفهم، وكان عقله عميقًا لا يُسبر له قرار، ولكن يمكن أن نصف مظهره ارتجالا بلا تحديد، فهو مترددًا كمن يعبر غديرًا فى الشتاء، هشًا كالجليد قبل أن يذوب، خشنًا كحجر غُفل لم يصقل، خاليًا كوادٍ فارغ لم يُسكن، مضطربًا كبركة معتكرة، ولكن من غيره يستطيع أن ينتقل ببطء وهدوء من العكارة إلى الصفاء؟ ومن غيره يستطيع أن يتحرك بتؤدة من السكينة إلى الحياة والحركة؟ فهو لا يرغب أن يمتلئ أبدًا كى يبقى برعمًا خفيًا لا يتعجل النضج ولو كان خميصًا، لأنه سوف يُصاغ من جديد[79].

وكان الملوك الحكماء فى سالف الزمان يتحدثون إلى الآخرين بتواضع ويتقدمون بعد غيرهم، ولذا أحبهم العالم ولم يزهدهم الناس، بل كانوا عونا لهم دون اعتبار للعبء، فقد كانت فضيلتهم سابغة وميولهم متناسقة[80].

إن التعلق بقوانين جيل واحد وشجب العادات الموروثة أشبه بمحاولة ضبط عود بلصق الركاب، فالحكماء يتأقلمون مع تحولات الزمن، ويتخذون إجراءات متوافقة عندما يرون كيف تتشكل الأمور[81].

ويجوز شهود قوانين الحكماء، لكن أسبابهم فى وضع القوانين تظل خافية، ويجوز أن تُسمع أحاديثهم ولكن دوافعهم للكلام لا تفسر. وقد كان الملوك الحكماء فى غابر الزمان يعتبرون العالم خفيفا وكل الأشياء صغيرة، ويرون الحياة والموت كشىء واحد، والنمو والتغير هما الشىء ذاته[82].

والحكماء فحسب هم الذين يعرفون الاستراتيجية، وتثبت كلماتهم وتصدق توقعاتهم. وتضع أرحب السلوكيات فى العالم الأمانة والثقة فوق الارتباطات الشخصية، ولكن من ذا الذى سيقدرها

---

[77] لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة، 49، ص71.
[78] المصدر نفسه:17، ص38.
[79] المصدر نفسه: 15، ص36.
[80] Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, op, cit,p73.
[81] Ibid: p87.
[82] Ibid: p88.

حق قدرها؟ فحين يطرح الحكماء المستقيم والمعوج فى الأحداث فإنهم ينقبضون وينبسطون مع قبضها وبسطها، ولا يثبتون على ظاهر واحد[83].

والاستراتيجية هى طريقة الحكماء فى النظر المستقل، فلو بدأ الآمر بالتعارض وانتهى بالوفاق فتلك استراتيجية، ولو بدأ الأمر باتفاق وانتهى بالتعارض فذلك جهل بالاستراتيجية[84].

يعلم الناس جميعا نتائج النظام والفوضى، ولا يعلم أحد وسائل حفظ الحياة ككل، ولذا لازال الحكماء يجادلون عن المجتمع ويعملون من أجله، فهم يقومون ما ينتوون ويخططون له، وقد يكون الحكماء سلبيون أو إيجابيون ولكنهم مرنون، وقد يكونوا حازمون ولكنهم ليِّنون، وأحيانا يلجأون إلى الهجوم[85].

وكذلك الحكيم يرغب أن يظل وراء الركب، ولكنه يجد نفسه فى المقدمة، ويتحسس نفسه عجبًا ولكنه يجد أنه سليم معافى، ألم تتحقق ذاته لأنه تخلى عن ذاته؟[86]

ومن مميزات الحكماء فى السلطة أن يبدأ الحكماء العمل بحساب الموارد المتاحة واستخدامها، ويوضع القادرين على التأثير كل فى وظيفة، ويوكل لكل موهوب واجب واحد، وليس ذلك صعبا بحال، فالحكماء يسخرونهم جميعا فلن يشعر أحد بأنه مهجور، ولن تضيع الأشياء[87].

فالحكماء لا يخجلون من ضعتهم، ولكنهم لا يحبونها حين يُهجر الطريق، ولا يزعجهم أن تكون حياتهم قصيرة، ولكنهم ينزعجون من مصاعب حياة العامة، ولذا كانوا دوما خالون ولا مصطنعون، ويعتنقون العناصر ويرون الأسس، ولا يشتبكون فى الأشياء[88].

ولم ينهض الذين قاموا كسادة وملوكا فى قديم الزمان بناءً على رغبتهم، والحكماء الذين رفضوا السيادة والملك لم يفعلوا ذلك من أجل راحتهم الشخصية، لكنهم نهضوا لأن القوى يقهر الضعيف، ولأن الأغلبية عنيفة مع الأقليات، ولأن اللئيم يخدع الجاهلين، وكذلك لأن العرفين لا يعلمون، وخازنو الثروة لا يشاركون[89].

ويرجع السبب فى تقدير الحكماء لا إلى أنهم يفرضون العقوبات بقدر الجرائم بل لأنهم يعلمون من أين تأتى الفوضى، والتى لو تفتحت حوافها المسنونة وسمحوا لها بالجرى فى مجراها بلا كابح لوضعت الناس تحت رحمة القانون والعقوبات، وإن لم تدمر العالم فلن تتوقف الخيانة[90].

والحكماء لا يريدون شيئا ولا يجتنبون شيئا، فحين تريد شيئا فقد يؤدى ذلك إلى فقده، وحين تجتنب شيئا فقد يعلق بك، وحين ترغب فى شىء بكل قلبك فسوف تنسى ماتعمل.

---

83 Ibid: p89.
84 Ibid: p90.
85 Ibid: p112.

86 لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة، 7، ص28.

87 Ibid: p134.
88 Ibid:p135.
89 Ibid: p135.
90 Ibid:p139.

ولـذلك يفحـص الحكمـاء تغيـرات العمـل والراحـة، ويضـبطون معيـار الأخـذ والعطـاء، ويحكمون مشاعر الحب والكراهية بالعقل، وينسقون درجات الفرح والغضب[91].

ولـذا كانـت قـوانين الحكمـاء تتغيـر مـع الـزمن، وتتطـور طـرقهم بالعـادات، وكانـت ملابسـهم وأدواتهـم وظيفيـة بمـا يناسـب، وكانـت قـوانينهم ولـوائحهم تقـوم علـى التوافـق، ولـذا كان إنكار تغير القديم لا يتوافق تماما، ومسايرة العادات لا تكفى لاعتبارها متسامية[92].

ويسـتحيل فـى طريـق الحكمـاء الكُـف عـن غـرس التـأدب والعدالـة والضـمير، فـلا سـبيل إلـى حكـم النـاس مـالم يعرفـوا التـأدب والعدالـة، ولا تملـك القـوانين تصـحيحهم، فـيمكن إعـدام غيـر الأقـارب ولكـنهم لا يتخـذون النـاس أقاربـا، ويمكـن معاقبـة اللصـوص ولكـن لا يمكـن جعـل النـاس أمنـاء، وعنـدما يكـون الملـوك الحكمـاء علـى رأس الحكـم يبينـون للنـاس الخيـر والشـر، ويوجهـونهم بالنقـد والمـديح، ويغـدقون علـى الصـالحين ويرقـونهم، ويحطـون بالطـالحين ويفصـلونهم، وهكـذا تُتـرك العقوبـات فـى حـين يفشـو التـأدب والعدالـة، ويـوتمن الحكمـاء والفضلاء على المسؤلية([93]).

ويستطرد قائلاً: وعندما يتولى الحكماء موقع القيادة يتأثر الناس روحيا لاهتداءهم بالمشاعر، وحينما يعمل الذين على القمة دون استبطان مشاعر من فى القاعدة تختلف المشاعر عن الأوامر.

وهكـذا نـدرك أن وظيفـة الكـلام طفيفـة، فـى حـين أن وظيفـة مـالا يُقـال جسـيمة، فالثقـة هـى اسـم للشـخص النمـوذجى حـين يكـون الإخـلاص مثالـه، وعنـدما يأخـذ الإخـلاص والثقـة شـكلا واقعيـا فـى البـاطن فـإن نفوذهمـا كمشـاعر يلقـى اسـتجابة فـى الخـارج، وهـذه هـى ثقافـة الحكـيم والقديس[94].

ولـذلك يسـعد النـاس بحكـومتهم حـين يتـولى الحكمـاء القيـادة، وعنـدما يخـتلط الحكمـاء بالناس فإن الناس يتطلعون إلى أفكارهم لأنهم لا ينسون الرغبة فى مساعدة الغير[95]. ص43

وتتخـذ مجاهـدات الحكمـاء سـبلا مختلفـة، ولكنهـا جميعـا تتغيـا غايـة واحـدة، فهـم يـرون الحيـاة والمـوت شـيئا واحـدا وكـذلك الاسـتقرار والقلـق، ولا ينسـون رغبـتهم فـى مسـاعدة الآخرين فى خضم تصميهم [96].

إن المعرفـة بالسـماع رشـد والمعرفـة بالبصـر قداسـة، ولـذا يسـتمع الحكمـاء دائمـا لأخبـار الحـظ السـعيد والحـظ العـاثر حتـى يختـاروا طـريقهم، فـالحكيم دائمـا يـرى كيـف تتفجـر المصائب وكيف يتشكل الحظ حتى يختار عمله[97].

وبعد أن تناولنا مفهوم الحكيم والسلطة عند لاو تسو فهل هناك اختلافا بينا عند سينيكا فى تناوله للموضوع ذاته، إن سينيكا يشير إلى أن الحكيم قد يقيم التوازن فى الكون لأنه يتحكم فى اتجاهه حيث يقول "وأشير مرارا إننى لا أتحدث عن الحكماء الذين يتحرون كل شيء يفترضونه ليصنعوا الانسجام،

---

91 Ibid: p140.
92 Ibid: p169.
93 - Ibid: p185.
94 - Ibid: p42.
95 - Ibid: p43.
96 - Ibid: p43.
97 - Ibid: p81.

ويتحكمون في اتجاهاتهم، ويضعون مبدأ لأنفسهم يرغبون في الالتزام به، والأحرى إننى اتحدث عن الناقصين الذى يرغبون في تعقب طريق الفضيلة وغالبا ما يملئ مشاعرهم روحا متمردة." [98].

وقد بين سينيكا أن قوة الحكيم أعلى من سلطة الملوك الذين يحتاجون إلى قوة فى تعضيد ملكهم وأما "الحكيم هو الوحيد الذى يمتلك كل شئ وبمقدوره أن يحتفظ به بلا عناء، وليس في حاجة إلى أن يرسل قوادا عبر البحار، فإنه يبنى بيته على ضفة نهر العدو ويضع له سياجا محصنا، ولا يحتاج إلى جيش أو فرق من الفرسان، فهو كالأرباب الخالدين الذى يحكمون نطاقاتهم بلا أسلحة، ويحافظوا على سلامة ممتلكاتهم وهم ينظرون إلى أسفل إلى قممهم الشامخة، وكذلك يؤدى الحكيم وظائفه بما هى على نطاق أرحب دون نصب، ويحملق لأسفل على جنس البشر أدناه، وهو القوي والأفضل للبشرية" [99].

وقد حبك سينيكا حوارا جدليا يبين فيه أن كل الأشياء تتبع الحكيم أى أنه يملكها وليس بإمكاننا أن نقدم له شيئا سوى أن نكون تابعين له، ولذا فهو لا يتلقى إحسانا فكل ما يمكننا أن نعطيه له هو ملك له " فكيف يمكن أن يقدم أحدا شيئا للحكيم وكل الأشياء تتبعه؟ والشئ الوحيد الذى يمكن أن يقدمه له حقا أن يتبعه، وهكذا لا يعطى الحكيم إحسان فكل ما يُعطى له يأتى مما يملكه بالفعل، ولكن الناس يقولون إن الحكيم يمكن أن يعطى الأشياء، ولاحظ جيدا أننى أسأل السؤال نفسه حول الأصدقاء، والناس يقولون إن كل شيئ بين الأصدقاء مشترك ولذا لا يعطى أحدا لصديق هدية، لأنه يعطيه شيئا يشاركه فيه بالفعل"[100].

وقد ساوى سينيكا بين ملكية الحكيم وملكية الأفراد فى القانون المدنى فى ما يسمى الملكية الاعتبارية، أعنى أن الأمور برمتها فى سلطة الحكيم ولكن الأفراد يتصرفون فيها حيث يملكونها، وكذلك الحكيم يملك كل شئ "وليس من سبب لا يتبع فيه الشئ لكل من الحكيم والمرء الذى يمتلكه والذى أعطاه وقسمه، وبموجب القانون المدنى كل الأشياء تابعة للملك، رغم أن الأشياء التى تقع في حيازة الملك غير مقيدة الملكية وهى موزعة على الملاك الأفراد، فالمجموع وكل شئ يملكه شخص واحد، ولذا يجوز أن نعطى المنزل والعبد أو بعض المال ولا يقال إننا أعطيناه شيئا يمتلكه بالفعل، لأن للملك سطوة على كل شئ ولكن الأفراد هم المالكون" [101].

ويرى سينيكا "أن كل الأشياء تتبع الحكيم وفى الوقت نفسه لكل أمرئ ملكيته وهو يتصرف في أشياءه، كما هو الحال في الملكية المطلقة المثالية للملك حيث كل شئ في فضيلة حكمه بينما يملك الافراد الأشياء في فضيلة ملكيتهم، حيث بمقدورى أن أعطى الحكيم بمعنى ما يتبع الحكيم ويتبعنى بمعنى آخر" [102].

ويضرب على هذه الملكية مثالا من الواقع حيث لا يستغرب أن يُعطى الشئ لأمرئ يتبعه كل شئ، لقد أستأجرت منزلا منك، إلا أن هناك أشياء لك في المنزل وأشياء لى، والشئ ذاته يتبعك، ولكن استعمال شيئك يتبعنى، وكذلك ليس بمقدورك أن تضع يدك على المحاصيل حتى لو أثمرت على أرضك، وإذا كان المزارع المستأجر يحرمك الأذن، وإذا كانت الحبوب باهظة الثمن وهناك مجاعة " للأسف سترى الجرن الكبير يتبع شخص آخر وأنت لا تستنفع منه" ، رغم أنها أثمرت على أرضك وموقعها أرضك وستخزن في مخازنك [103].

98 Seneca: on bonefits , op.cit, B2, 4-18.
99 Ibid: B7,3-2.
100 Ibid: B 7,1-4.
101 ibid: B 7, 2-4.
102 ibid: B 7,5-1.
103 ibid: B 7,5-2.

وقد دلل سينيكا على هذه الملكية الاعتبارية بالاستدلال المنطقى الأرسطى الذى يؤكد فيه أن كل الأشياء تنسب للحكيم حيث إن " كل شئ يملكه الأطفال يتبع أبيهم، والكل يعلم أن حتى الأبن يمكن أن يعطى أباه هبة، فكل الأشياء تتبع الأرباب، ولذا وضعنا العطايا على مذابحهم وألقينا لهم نقودنا، وما هو لى لا ينقطع لى تماما لأن ما لى هو لك، والشئ نفسه قد يكون لى ولك أيضا" [104].

وقد أتاح الحكيم الرومانى كاتو الفرصة لتحقيق الحكم المثالى للحكيم، عندما تولّى السلطة – كما أدعى سينيكا-، وقد عدد سينيكا الصفات والميزات التى تمتع بها كاتو الحكيم، فقال:" وأما بالنسبة لكاتو فقد أخبرتك لم يكن قلقا، لأننى قلت أن الحكيم لا يصيبه ضُر ولا إهانة، ولقد وهبتنا الأرباب الخالدة كاتو مثالا قويا للرجل الحكيم كما منحت العصور السالفة أوليسوس Ulysses وهيروكليس Hercules، ورفقائنا الرواقيون كانوا حكماء لم يهزمهم الكد، ولم تزعجهم اللذة، وأنتصروا على كل صنوف الخوف[105].

ولم يمض كاتو من جنب إلى آخر يصارع الوحوش والتى يتتبعها الصيادون وسكان البلدة، ولم يطارد المسوخ بالنار والحديد، ولم يحدث أن عاش فى زمن يعتقد فيه أن السماء تركس على كتفى رجل بعينه، وقد تخلخلت تماما عفوية السالفين الآن، وأنتهى بنا الزمن إلى آفاق جديدة من الدهاء، وقاتل كاتو ضد الطموح، والفحش الذى جاء بأشكال عدة، والشهوة غير المقيدة للسلطة التى قسمت العالم كله إلى ثلاثة، ولم تكن مرضية، ووقف وحيدا ضد رذائل مدينة منحلة تهتز تحت ثقلها، وظل قابضا على الجمهورية الساقطة كما لوكان يمكن عودتها بيد واحدة فحسب، ونهاية المطاف فقد قبضته وقدم نفسه كرفيق للفساد الذى ماطله طويلا، وقد أخمد اثنين منهم معا (وكان بالمقدور أن تحدث إهانة لا يمكن تصورها لفصلهما)، لأن كاتو لم ينتهك الحرية ولم تنتهك الحرية كاتو.

وقد يناقض سينيكا ذاته أو يعكس حاله فى الانسحاب عن الحكم حيث منيت حياة سينيكا بخيبة أمل من الناحية السياسية نتيجة تأثرها بالنفى والعودة وتسوية علاقته بالأمبراطور نيرون تلميذه ومعلمه أولًا ومقتوله أخيرا، وتخبرنا كتاباته باليسير عن وظيفته السياسية وعلاقته بنيرون باستثناء ما يمكن أن نستشفه من مقاله عن العفو On Clemency. وتخبرنا المصادر المتأخرة مثل تاكيتوس وسويتونيوس وكاسيوس ديو(150ق.م-235م) Dio Tacitus, Suetonius, and Cassius أن سينكا ولد لعائلة عريقة فالفروسية بمدينة قرطبة Corduba في هسبانيا بين عامى 1-4 قبل الميلاد، وهو الأبن الثانى من ثلاثة أبناء لهيلفيا ولوكيوس أنايوس سينيكا، والأخ الأصغر هو أنايوس ميلا وهو والد الشاعر لوكان. وقد قضى الأب فترة كبيرة من حياته في روما وظهر حينها سينيكا صبيا صغيرا، وهناك تلقى تعليمه في البلاغة وأصبح تلميذا للفيلسوف سكيتوس، وتأخر دخوله في الحياة السياسية، وحين امتنع ترشحيه للمنصب في عهد تيبريوس اعتلت صحته وأصابه الربو وربما السل، وكانت علاقته بالسياسة قصيرة، ونجا من عداء كاليجولا بفضل موهبته في الخطابة كما تخبرنا المصادر، ونفاه كلاوديوس إلى كورسيكا بعد وفاة كاليجولا بفترة وجيزة عام 41 م بتهمة الزنا في جوليا ليفيلاالشقيقة الصغرى لكاليجولا، وهذا الادعاء كاذب بالتأكيد، وقد قضى سينيكا وقته في المنفى في دراسة الفلسفة، وكتب 'عزاء إلى هيلفيا' والدته و'عزاء إلى بوليبيوس' السكرتير الخاص لكلاوديوس، ويكشف في هذا الكتاب عن رغبته في العودة إلى روما[106].

حيث يقول سينيكا فى مسألة الأنسحاب من العمل السياسى "تأمل أنه قد سمح لك وفقا لخريسبوس أن تعيش فى وقت الفراغ، وأنا لا أقصد التسلية بل نشاط تختاره، إن مدرستنا ترفض أن يقبل الحكيم المشاركة فى الحياة العامة أو فى الدولة، بل فى التمييز الذى يصله إلى وقت الفراغ – سواء بسبب أن

---

104 ibid: B 7, 6-4.

105

106 introduction Seneca: on bonefits , op.cit, p36.

الولة غير متاحة له أم أنه غير متاح للدولة، إذا لم تكن الدولة غير موجودة لأى أحد؟ والحق إن الدولة لا تتاح للذين يسعون من أجلها بعين دؤوبة [107].

ويقول لمحاوره فى محاورته 'عن وقت الفراغ' وأسائلك ما الدولة التى يعلق الحكيم بها نفسه؟ هل دولة الأثينيين التى أدانت سقراط بالموت، والتى هرب منها أرسطو ليتجنب إدانته فيها؟ [108]، وأين تضطهد الفضائل بالحقد؟ وليس بمقدورك أن تخبرنى أن الحكيم سوف يربط نفسه بهذه الدولة، هل دولة قرطاجة فى خلافها السياسى المتواصل، وتهديدات الفجور الشعوبى الت تؤذى كل المواطنين الفضلاء، وأحتقار العدالة والمبدأ الحق، والقسوة البهيمية تجاه الأعداء حتى لو تحولوا من عدائهم لمواطنيهم؟ فهذه واحدة من الدول.

وإذا أردت أن أمسح لك الدول كاملة فلن أجد واحدة متسامحة أو يتسامح معها الحكيم، ولكن إن لم نجد لنا دولة من النوع الذى تصورناه لأنفسنا يبدو أن وقت الفراغ هو الخيار الذى لا مفر منه للجميع، لأن الشيئ الوحيد الذى قد فضل لوقت الفراغ موجود فى أى أين.

وإذا قال أحدهم من الأفضل أن يذهب عن طريق البحر، ومن ثم يحرم الإبحار فى البحر حيث يحدث تحطيم السفن عادة وغالبا ما تصطدم فجأة بالعواصف التى ترمى القبطان فى الإتجاه الخاطئ، إنه يخبرنى، ما لم اكن مخطئا فلا أبحر مع أنه يثنى على الإبحار [109].

لا يمكن أن تقول كما تفعل غالبا أن حكيمنا هذا لا يوجد فى أين، نحن لا نصنع مثالا فارغا لطبيعة البشر أو نبتدع صورة ضخمة لشئ كاذب، والأحرى أننا أنتجنا وسوف ننتج واحدا كما صممنا، ربما يندر وجوده حتى بعد فترات زمنية كبيرة، إلا أن الأشياء العظيمة تتجاوز التدبير الشائع والعادى وقد لا تُولد غالبا، وأشعر بالهلع من الأعتقاد بأن ماركوس كاتو من الذين يضاهون هذا الحكيم وربما يتجاوز نموذجنا.

ويؤكد سينيكا بطريقة أخرى أسباب الأنسحاب من الحياة السياسية حين يقرر أن الحياة العامة برمتها ليست ذات جدوى أو فائدة؛ ولذلك يجب على الحكيم الانسحاب منها، وذلك فى قوله:" إن التوافق الكبير يجعل رذئلنا جاذبة لنا حتى لو لم نحاول شيئا أخر شافيا فإن الإنسحاب فى ذاته من الحياة العامة يكون نافعا، وقد نكون أفضل بذواتنا، فالانسحاب يمنحنا الفرصة لمرافقة أفضل الناس، والاختيار من بينهم مثالا يرشد حياتنا، ويتأتى هذا فحسب فى وقت الفراغ، وحيث يمكننا أن نواصل ثباتنا، وحينها لا يأتى أحد ليضلل بعون الجماهير ويقضى بالمجروح فيه، وعندئذ تمضى الحياة التى بترناها من الأهداف المشوهة قدما على المسار بلا انقطاع [110].

ويضيف سينيكا سببا نفسيا أخر للعزوف عن الحكم وهو" إن أسوء شرورنا هى أن نكبت تغيير رذائلنا، أو حتى نقتصد استمرارية البقاء فى الرذيلة التى نعلمها بالفعل، فالشيئ يلو الأخر يمنحنا المتعة، وما يسبب لنا التعب هو أن أحكامنا ليست فاسدة فحسب بل متقلبة كذلك، ونحن متقلبون، وننتهز شيئا يلو الأخر، ونبحث عن الشئ الذى تخلينا عنه، وما نتخلى عنه نسعى لرده، وكذلك نتأرجح بين الرغبة والندم عليها [111].

---

[107] Seneca-: On Leisure, translated by Gareth d. Williams, the complete works of lucius annaeus Seneca *Edited by Elizabeth Asmis, Shadi Bartsch, and Martha C. Nussbaum*, Hardship and Happiness, The University of Chicago Press, 2014. 8-1, p 259.
[108] Ibid: 3-4,p255.
[109] Ibid: 8-4,p 260.
[110] Ibid: 1-1, p253.
[111] Ibid:1-2,p253.

ولأننا نعتمد كلية على أحكام الآخرين، ونرى الأفضل ما يثنى عليه الكثير ويلاحقونه وليس ما يبرر الثناء والملاحقة، كما اننا لا نحكم على السبيل بأنه حسن أم ردئ بمزاياه بل بكم الإقدام عليه، ولا أحد من الناس أن يعود من الطريق![112].

ويقرر سينيكا أن هناك سبباً آخر يمكننا من خلاله أن نستعيض به عن مشاركتنا فى الحياة العامة أو نظام الحكم، وهو تقديم المنفعة للغير:" إذن من الممكن حتى لأى أمرئ لديه كل الأختيارات لا تزال مفتوحة، وقبل أن يعانى أى عواصف للحياة حتى يستقر إلى ملاذ آمن أن يكرس نفسه لدراسات حرة ويقضى وقته فى وقت فراغ غير منقطع، يغرس الفضائل التى أبعد من أن يمارسها العامة [113].

ويقينا أن المطلوب من أى أحد أن يكون نافعا للأخرين، وإن أمكن فللكثرة وإن لم يكن فللقلة وإن لم يكن للقلة فللأقرب لنا وإن لم يكن للأقرب فلنفسه، وحين يجعل المرء من نفسه نافعا للآخرين فإنه يشارك فى الخدمة العامة، كما أن المرئ المسئول عن انحطاط خلقه لا يضر نفسه فحسب بل كل الذين قد يستفيدوا من تحسين ذاته، وكذلك من يخدم نفسه حسنا ينفع الأخرين بما يقدمه من عون لهم[114].

ويستطرد موضحاً ذلك فى قوله:" وما الأفكار التى يسحبها الحكيم إلى وقت الفراغ؟، إنه يعمل فى المعرفة التى يربطها بفعالية فى مشاريع تنفع الأجيال، ولا شك أن زينون وخريسبوس من الرواقيون الذين حققوا أشياء أكبر من قيادة الجيوش وشغل المناصب والضلوع فى القانون- لقد صكوا قانونا ليس لدولة بعينها بل لجنس البشر!، إذن لماذا لا يكون وقت الفراغ ليس قويما للرجل الخير إذا استخدمه ليعطى توجيهات للأجيال اللاحقة وليس فى معالجة البسيط بل كل الناس والأمم سواء فى الحاضر أو المستقبل؟ [115].

وباختصار أسائلك عما إذا كان كليانتس وخريسبوس وزينون قد عاشوا فى وفق مذاهبهم؟، وسوف ترد بأنهم عاشوا كما قالوا كيف تعاش الحياة، ومن ثم لم يشارك أيا منهم فى الحياة المدنية، وانت ترد " لم يتيح لهم الحظ، ولم تسمح الدولة المدنية للناس أن يشاركوا فى الإدارة العامة" ومع ذلك لم تقودهم حياة الخمول، واكتشفوا كيف يجعلوا خمولهم بعينه منعة للبشرية أكثر من كد وصخب الآخرين، ولذلك لم يلعبوا دورا فى الحياة العامة مع إنهم قد فعلوا الكثير [116].

الخاتمة

---

112 Ibid: 1-3, p253.
113 Ibid: 3-1, p254.
114 Ibid: 3-5,p 255.
115 Ibid: 6-4, p255.
116 Ibid:6-1, p257.

يمكن أن نجمل أهم النتائج التى انتهت إليها الدراسة فى النقاط الأتية

أولًا: لا يوجد اختلاف فى تحديد مفهوم الحكيم بين لاو تسو وسينيكا فكلاهما يرى أن الحكيم هو الذى يمارس حياته وفق طبيعته الانسانية، ويجتهد فى استنباط الكمال من قوانين الطبيعة التى تمكنه من الإرتقاء والسمو لبلوغ السمو الإلهى، وتؤهله للسعادة الأبدية والحياة الروحية الخالصة فى الواقع، والحكيم هو الذى يملك زمام السيطرة على الإنفعالات وعلى أفعاله فى العموم فهو الوحيد الذى يميز بهدوء النفس وثباتها فى مواجهة الكوارث والشدائد، فروح الحكيم قوية وصلدة لا تتأثر بالأحداث ولا تشكو فهى تسمو على كل الصعاب، بل وتتأهب لها فلا تفاجئها الظروف.

ثانيًا: يكشف مظهر الحكيم وجوهره عند لاو تسو عن بساطة العيش فى المأكل والمشرب والملبس والتى تعبر عن التوازن الحقيقى بين طريقى التحكم الأعظم والتحقق الأعظم، أعنى إن ضبط الحكيم جوهره استقام مظهره، وأما مظهر الحكيم وجوهره عند سينيكا فإنه يرى أن جوهر الحكيم ربانيا ويتصف بصفاته حيث لا يمكن لأحد أن يسيطر عليه، وأن الحكيم يعايش الناس ولا يكترث بالمصائب، ولا يتأثر بإهانة أحد أو أذى يلحق به، وكلاهما الفيلسوفين قد عبرا عن المذهب الذى يعتنقه فلاو تسو يعبر عن ما ينبغى ان يكون عليه الحكيم فى ظل الطاو، واما سينيكا يدلل على ما ينبغى عليه الحكيم فى إطار الرواقية والعيش وفقا للطبيعة.

ثالثًا: قدم لاوتسو أوليات تدرك فى طبيعة البشر والاقتناع بمفهوم إصلاح الفاسد ولذا وجه فكره فى كيفية التعامل مع الأشياء، واصلاح نظام الحكم، وبعد أن يضع لاوتسو أوليات التعامل مع أمور الدنيا يرسى مبادئ حكم الناس، وهو يقدم نظرية اللافعل أو عدم التدخل، أعنى يضع الحكيم نفسه نموذجا للناس فيستقيم أولا، فإذا استقام استقاموا، **و**وضع لا وتسو أسبابا للإحجام عن الحكم، وعن الطرق والأساليب المثلى لمزاولة الحكم سواء على النفس أم الأفراد ومن ثم المجتمعات، ويصنع لاو تسو مقارنة تاريخية بين الحاكم الحكيم القديم وما ينبغى أن يكون عليه الحاكم، وقد بين أن قوة الحكيم أعلى من سلطة الملوك الذين يحتاجون إلى قوة فى تعضيد ملكهم، وقد ساوى سينيكا بين ملكية الحكيم وملكية الأفراد فى القانون المدنى فيما يسمى الملكية الاعتبارية، أعنى أن الأمور برمتها فى سلطة الحكيم ولكن الأفراد يتصرفون فيها حيث يملكونها، وكذلك الحكيم يملك كل شئ، وقد يناقض سينيكا ذاته أو يعكس حاله فى الانسحاب عن الحكم حيث منيت حياة سينيكا بخيبة أمل من الناحية السياسية نتيجة تأثرها بالنفى والعودة وتسوية علاقته بالإمبراطور، ولكنه يؤكد بطريقة أخرى أسباب الأنسحاب من الحياة السياسية حين يقرر أن الحياة العامة برمتها ليست ذات جدوى أو فائدة؛ ولذلك يجب على الحكيم الانسحاب منها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المترجمة إلى العربية

[1] - لاو تسو: أناشيد الطريق والفضيلة، ترجمة تراث واحد، جمعية المكنز الإسلامية، لندن، 2016م.

ثانياً: المصادر الأجنبية

1- Lao Tzu, Wen-tzu: understanding the mysteries, translated by. Thomas Cleary, first published, Shambhala publication,Inc, U.S.A, 1991.
2- Seneca: On the Constancy of the Wise Person, Translated by james ker, the complete works of lucius annaeus Seneca Edited by Elizabeth Asmis, Shadi Bartsch, and Martha C. Nussbaum, Hardship and Happiness, The University of Chicago Press, 2014.
3- Seneca: Seneca: on bonefits, The University of Chicago Press, Ltd., London, 2011.
4- Seneca: on Firrminess in Ad Lucilium Epistulae Morales With an English Translation, by john .W. Basore, Loab classical library vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1979.
5- Seneca: on pleasure and joy in Ad Lucilium Epistulae Morales With an English Translation BY Richard. M. Gummere, Loab classical library,vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1925[7] - Seneca: "Happy Life" in Moral Essays.II.
6- Seneca: On Leisure, translated by Gareth d. Williams, the complete works of lucius annaeus Seneca *Edited by Elizabeth Asmis, Shadi Bartsch, and Martha C. Nussbaum*, Hardship and Happiness, The University of Chicago Press, 2014.
7- Seneca: Happy Life, In Epistulae Morales, Ad Lucilium Epistulae Morales, With an English Translation BY Richard. M. Gummere, Loab classical library,vol1,: G. P. Putnams sons, New york, 1925

ثالثاً: المراجع العربية

[1] أندرية (كريسون): المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1979.
2- (نصار (د.عصمت): تصور الإنسان الكامل من عالم الأساطير إلى عالم الجينوم- دار الهداية – مصر – الجزء الأول – من الميثولوجيا إلى اليوتوبيا- الطبعة الأولى – 2004م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

[1] Brouwer, René.: The Stoic Sage: The Early Stoics on Wisdom, Sagehood and

Socrates, Cambridge University Press,2014.
[2] Johansen Karsten, Op.Cit.
[3] Sedley David, The Hellenistic philosophers, Vol2,Greek and Latin texts with notes and bibliograpny, Cambridge University Press, 1987.
[4] Donald Phillip Verene: Hegel's Recollection: A Study of Images in the Phenomenology of Spirit, SUNY Press, u.s.a, 1997.
[5] Wilhem Windeland: AHistory of Philosophy , Volume 1, Harper & Brothers, Publishers,New York,1958.

خامساً: المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف

[1] المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية: تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.
[2] صليبا (د. جميل): المعجم الفلسفي، جـ1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
[3] - وهبه (د. مراد): المعجم الفلسفى، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.